

## 40 تفسير سورة الفرقان | آية 42-12 | تفسير ابن كثير

علي غازي التويجري

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى الله واصحابه ومن تبعهم بحسان الى يوم الدين اما بعد يقول الله جل وعلا في سورة الفرقان وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا -

00:00:01

لقد لقد استكباوا في انفسهم واتوا عتوا كبيرا في هذه الآية الكريمة المباركة يخبر جل وعلا عن تعنت الكفار في كفرهم وعنادهم وقبل ذلك اخبر انهم لا يرجون لقاءنا ومعنى لا يرجون لقاءنا - 00:00:25 اي لا يخافون البعث ولقاء الله لان لا يرجون قد تأتي بمعنى الخوف. ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تخافون لله تعظيمها فمعنى لا ترجون كما قال الامير الشنقيطي وغيره اي لا تخافون - 00:00:51

يوم القيمة ويوم البعث وهذا دليل على انهم كافرون بالبعث غير مؤمنين به ولا يرجون لقاء الله ولا يؤمنون به ولا يعتقدونه وهذا مما حملهم على ما صاروا اليه فقالوا لولا انزل علينا الملائكة - 00:01:17

ولولا بمعنى هلا للتحظيض هلا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وهذا من قولهم يحتمل انهم ارادوا امررين الاول لولا انزل علينا الملائكة يعني بالرسالة كما نزل على الانبياء - 00:01:39

يعني من شدة تكيرهم انهم قالوا هلا انزل علينا نحن ايضا انزلت علينا الرسالة تنزلت الملائكة وجاءتنا بالرسالة كما انت الانبياء وهذا يدل له قوله جل وعلا قالوا لن نؤمن حتى نوتى مثل ما اوتى رسول الله - 00:02:16

هذا المعنى الاول والمعنى الثاني ان مرادهم لولا انزل عليه الملائكة اي لو نزلت علينا الملائكة فنراهم عيانا ويخبروننا ان محمدا رسول الله يعني فهلا انزلت علينا الملائكة يخبروننا انك رسول - 00:02:44

من عند الله وهذا من شدة تعنتهم وهذا وايضا قالوا او نرى ربنا او نرى الله فنقبل عند ذلك واكثر المفسرين على هذا على ان مراد الكفار هنا - 00:03:13

انهم قالوا هلا انزل ملائكة علينا يخبروننا بانك رسول من عندهم من عند الله ان كنت صادقا او نرى ربنا فيكلمنا ويخبرنا انك رسول وهذا هو الظاهر والله اعلم لان الله جل وعلا - 00:03:49

عقبه بقوله لقد استكباوا في انفسهم واتوا عتوا كبيرا استكباوا وتعظموها واصابهم الكبر عن ان يتبعوا النبي صلي الله عليه وسلم او يتبع الحق الذي جاء به ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه - 00:04:08

وايضا من كبرهم انهم قالوا لوجاءنا الله وكلمنا فهذاكبر ما وراءه كبر وثبت ما وراءه ثبت ولهذا قال جل وعلا واتوا عتوا كبيرا لقد استكباوا في انفسهم وتعظموها - 00:04:40

واتوا عتوا كبيرا قال ابن كثير لقد استكباوا في انفسهم واتوا عتوا كبيرا وقد قال الله تعالى عنهم ولو ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبل ما كانوا ليؤمنوا - 00:05:10

الا ان يشاء الله ولكن اكثراهم يجهلون اذا هم متكررون ولا يريدون اصلا الایمان وانما يقولون ذلك تحججا ولهذا ايضا قالوا في اية اخرى او تأتي بالله والملائكة قبليا فهم لا يريدون الایمان - 00:05:36

وانما يريدون هذه الاعتراضات بسبب الكبر الذي في نفوسهم ولهذا قال وعثوا عتوا كبيرا قال الطبرى اي تجاوزوا في الاستكبار بقولهم ذلك حده وقال السمعانى العتو هو المجاوزة في الظلم - 00:06:12

وعتوهם هنا طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا وقال الامين الشنقيطي في اضواء البيان واتوا عتو كبيرة اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان نعم تجاوزوا الحد في في الظلم والطغيان وهم يطلبون - [00:06:37](#)

ان تتنزل عليهم الملائكة او يأتي ربهم اليهم ويخبرهم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم حتى يتبعوه لقد استكروا في انفسهم كبيرة وعتوا وتجاوزوا الحدود وظلموا انفسهم اشد الظلم - [00:07:01](#)

ثم قال جل وعلا يوم يرون الملائكة لا بشري يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا يوم يرون الملائكة اي واذكر حين يرون الملائكة يرى هؤلاء الذين لا يرجون لقاء الله والذين استكروا في انفسهم واتوا عتوا كبيرة - [00:07:22](#)

يوم يرون الملائكة وهذا يحتمل امررين يحتمل رؤية الملائكة عند قبض ارواحهم ويحتمل رؤية الملائكة يوم القيمة عند الجزاء والحساب ولا مانع من الامررين كما قال الامين الشنقيطي رحمة الله - [00:07:47](#)

ورؤيتهم للملائكة يكونوا عند احتضارهم ويكون يوم القيمة ولا بشري لهم في رؤيتهم في كلا الوقتين اذا يوم يرون الملائكة عند قبض الارواح فهم لا يرونهم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم - [00:08:12](#)

بل يرون الملائكة ولا بشري لهم اي لا تبشرهم رؤيتهم لا تبشرهم رؤيتهم الملائكة ولا تكون لهم في ذلك الوقت بشارة بخير بل تكون بشارة لهم بالشر لان الملائكة تبشرهم بالنار وغضب الجبار - [00:08:40](#)

كما في حديث البراء انه ينزل ملك الموت ويأتي عند رأس الكافر المحتضر ومعه ملائكة معهم مسحون من النار فيقول ملك الموت ايتها النفس الخبيثة اخرجني الى سخط من الله - [00:09:11](#)

وغضب فلا بشري لهم بالخير بل بشري لهم بالشر ولهذا قال الله جل وعلا ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسط ايديهم اي بالضرب يضربونهم - [00:09:39](#)

اخروا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكرون هذه حال الكفار نسأل الله العافية والسلامة وهذا هو القول الاول والقول الثاني - [00:10:11](#)

ان المراد ان الملائكة يقولون ذلك يوم القيمة لهم جزاء وفاقه على اعمالهم وكلا القولين حق. ولهذا قال ابن كثير ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم فان الملائكة في هذين اليومين - [00:10:37](#)

يوم الممات ويوم المعادى تتجلى للمؤمنين وللكافرين فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران فلا بشري يومئذ للمجرمين فلا بشري يومئذ للمجرمين وهذا كما قلنا دلت عليه نصوص من كتاب الله عز وجل - [00:11:00](#)

وقوله هنا لا بشري لان البشري والبشارة هي الخبر السار الذي تغير له بشرة الوجه من حسنه وبهائه وسرور صاحب وسرور المبشر به وقد تستخدم البشارة بالعذاب بشر المناافقين بان لهم عذابا اليما - [00:11:33](#)

لكن الحال هنا انه نفي البشارة بالخير للكافرين عند احتضارهم ارواحهم وخروج ارواحهم بل يبشرهم بالنار وعذاب الجبار وكذلك يوم القيمة لا بشري لهم بالخير وهذا بخلاف المؤمنين - [00:11:58](#)

فان المؤمنين وهذا يفهم يؤخذ من مفهوم المخالفة يعني ان غير هؤلاء المشركين او ان المؤمنين يبشرهم بما يسرهم ومفهوم وهذا المفهوم مفهوم المخالفة جاء مصراحا به لقوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - [00:12:26](#)

تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا والآخرة لكم فيها ما تشتته انفسكم - [00:12:54](#)

ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم سبحانه وتعالى ويقولون حجرا محجورا يوم يرون الملائكة لا بشري لهم لا بشري يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا ووصفهم بالاجرام لشدة جرمهم - [00:13:16](#)

وكثرة ذنبه ومنها ما سبق قريبا انهم يقولون لن نصدق ان محمدا رسول الله حتى تأتينا الملائكة تكلمنا او يأتي الله او يأتي ربنا ويكلمنا هو رسولي هذا غاية الاجرام والتکذیب - [00:13:45](#)

قال ويقولون حجرا محجورا ويقولون حجرا محجورا اولا الحجر كما قال ابن جرير قال الحجر الحجر اصله المعن ومنه يقال حجر

القاضي على فلان اذا منعه التصرف اما لسفه او فلس او صغر او نحو ذلك - [00:14:03](#)

ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام لانه يمنع الطواف يمنع الطواف ان يطوه فيه وانما يطاب من ورائه ومنه يقال للعقل حجرا حجرا لانه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا - [00:14:30](#)

يليق واختلفوا اولا معنى الكلمة فقالوا معنى حجرا محجورا يعني حرام محرم عليكم الفلاح اليوم واختلفوا من القائل فاكثر المفسرين على ان القائل هم الملائكة يومئذ يوم يرون الملائكة لا بشري يومئذ للمجرمين - [00:14:50](#)

ويقولون اي يقول الملائكة لهم حجرا محجورا اي حرام محرم عليكم والفالح اليوم ممنوع حرام محرم لانه يأتي بمعنى لانه بمعنى المぬ احرام محرم يعني يمنع نعم حجرا محجورا يعني حرام محرم عليكم - [00:15:21](#)

ممنوع تمنعون من الخير والفالح في هذا اليوم جزاء اجرامكم وهذا تقريبا هو قول الجمهور انه يعود على الملائكة وان الملائكة يقولون لهؤلاء المجرمين حجرا مهجورا اي حرام محرم عليكم - [00:15:49](#)

والفالح اليوم جاء عن ابي سعيد الخدري انه قال حراما محرما ان يبشر بما يبشر به المتقوون وقيل ان الذي يقول ذلك هم الكفار انفسهم المجرمون وذلك من كلامهم وهذا مروي عن ابن جريج - [00:16:17](#)

واختاره الامير الشنقيطي والمعنى انهم يتبعون من الملائكة وذلك ان العرب كانوا اذا نزل باحدهم نازلة او شدة يقول حجرا محجورا وقيل ان معنى قول المشركين حجرا محجورا اي حراما - [00:16:43](#)

حراما عليكم ان تمسونا بسوء تقوله للملائكة يقوله المجرمون احراما محرما عليكم ان تمسونا بسوء اي اننا لم نرتكب ذنبنا نستوجب به العذاب كما اوضحه الله بقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم - [00:17:08](#)

ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون والاظهر والله اعلم انه من قول الملائكة قال ابن كثير وهذا القول القول بأنه من قول المشركين قال وهذا القول وان كان له مأخذ ووجه - [00:17:38](#)

ولكنه بالنسبة الى السياق في الاية بعيد ولا سيما قد نص الجمهور على خلافه ثم قال ولكن قد روي ابن ابي نجيح عن مجاهد انه قال حجرا محجورا اي عودا معاذا - [00:18:00](#)

فيحتمل انه اراد ما ذكره ابن جريج ولكن في رواية ابن ابي حاتم عن ابن ابي نجيح عن مجاهد انه قال هجرا مهجورا عودا معاذا الملائكة تقوله فالله اعلم فالذى يظهر والله اعلم ان هذا من قول - [00:18:22](#)

الملائكة ويقولون لهم حجرا محجورا اي حرام محرم عليكم الفلاح اليوم ومهجورا من باب التوكيد تأكيد للمعنى بمعنى حجرا وهذا وهذا موجود في كلام العرب وهو يدل على التوكيد كما يقال موت موت ماءت - [00:18:43](#)

ويقال ذائل و قالوا حجرا محجورا كلهم من باب التوكيد انهم ممنوعون من الفلاح والفوز والنجاة ثم قال جل وعلا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منتشرة يخبر جل وعلا - [00:19:12](#)

انه يحاسب الكفار وينظر في عملهم فيجعله هباء قال ابن كثير وهذا يوم القيمة حين يحاسب الله العباد على على ما عملوه من خير وشر فأخبر انه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الاعمال التي ظنوا انها منجاة لهم شيء - [00:19:43](#)

لا يتحصل لهم شيء ثم قال وذلك لانها فقدت الشرط الشرعي اما الاخلاص فيها واما المتابعة واما المتابعة لشرع الله فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل - [00:20:11](#)

فاموال الكفار لا تأخذ لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معا ف تكون ابعد من القبول حينئذ ولهذا قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء - [00:20:31](#)

منتشرة اشار ابن كثير رحمة الله هنا الى شرطي قبول العمل فان العمل لا يقبل الا بشرطين الاخلاص فيه لله جل وعلا والمتابعة فيه لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم - [00:20:48](#)

فالكافار قد يحصل عندهم واحد من الامرين لكن ما يجتمع الامران فقد يعملون العمل مخلصين فيه لله لكن ليسوا متبعين النبي صلى الله عليه وسلم. فليس هو مشروع وقد يجتمع عندهم الامران - [00:21:05](#)

لا اخلاص ولا متابعة لا يعملون العمل خالصا لله يعملونه رباء او سمعة ولا يتبعون النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وقدمنا اي ا Medina  
كما قال السدي وقال بعضهم معنا وقدمنا اي ا Medina عليه - 00:21:24

وهما بمعنى يعني ا Medina على عملهم او عدنا الى عملهم الذي عملوه في الدنيا فجعلناه هباء منتشر الهباء فيه اقوال للسلف وهي  
ومؤداتها واحد وهي قريبة من بعض فقال بعضهم - 00:21:47

وهو مروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن ابن عباس ومجاهد عكرمة وسعيد ابن جبير حسن البصري ان المراد به الهباء ان  
المراد بالهباء هو تلك الاجسام التي - 00:22:10

تظهر اذا دخل ضوء الشمس من قوة البيت مثلا في بيتك قوة يعني نافذة صغيرة شق فالغرفة مظلمة فدخل ضوء الشمس اليها فانك  
اذا مررت او تحركت عند ضوء الشمس الذي داخل الغرفة - 00:22:27

يتراوغ لك اجسام بيضاء صغيرة تتطاير مجرد ان تتحرك تتطاير من خفتها قالوا هذا هو الهباء يعني لا شيء نجعله هباء منتشر يعني  
نجعلها مثل الهباء المنتشر فهو اصلا خفيف لا وزن له وايضا منتظر ما تستطيع ان تمسك به. متطاير هنا وهناك - 00:22:53

وقال جاء عن علي بن ابي جاء عن ابن عباس من طريق علي ابن ابي طلحة ان الهباء المنتشر هو الماء المهراق الماء الذي صببته  
اهرقته لا شيء وجائز عن علي بن ابي طالب انه قال الهباء رهج الدواب - 00:23:15

وجاء مثله عن ابن عباس والضحاك ومعنى رهج الدواب يعني غبار الدواب اذا جاءت تمشي الدواب تثير غبارا هذا الغبار ما تمسكه ما  
وهباء منتشر غبار متطاير يعني لا شيء له لا وزن له - 00:23:39

اعمالهم التي كانوا يعملون يظنون انها ستنفع صارت مثل الهباء الذي لا وزن له ولا قيمة له ولا ينفع صاحبه وجاء عن قتادة انه قال ما  
رأيت يبليس الشجري اذا - 00:24:00

اذرته الرياح فهو ذلك الورق يقول الهباء يعني هي الاوراق اليابسة المتطايرة من الاشجار تذروها الرياح وقال عبدالله بن وهب عن  
عبد الله بن يعلى قال ان الهباء الرماد وهذه الاقوال متقاربة كما قال ابن جرير قال وحاصروا هذه الاقوال التنبيه على مضمون الاية -  
00:24:15

وذلك انهم عملوا اعمالا اعتقدوا انها شيء فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجور ولا يظلم احدا اذا ان انها لا شيء  
بالكلية وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق - 00:24:43

الذي لا يقدر منه صاحبه على شيء بالكلية كما قال تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا  
يقدرون مما كسبوا على شيء. ذلك هو الضلال البعيد - 00:24:59

وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثلك كمثل  
صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا - 00:25:17

لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين وقال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى  
اذا جاءه لم يجده شيئا وقد تقدم الكلام عليها - 00:25:35

وانه المراد ما يتراوغ للناظر بانهما فاذا جاء لم يجده شيئا انه سراب هكذا اعمالهم يعني لا شيء. نسأل الله العافية والسلامة لانهم قد  
عملوا في الدنيا اعمالا قد يكون احدهم وصل الرحمة - 00:25:55

اه اعطى المسكين فعل امور من لكنها لا تنفعهم لانهم ما جاءوا باصل قبولها وهو الاخلاص والمتابعة او لم يأتوا باحد هذين الامرین  
نسأل الله العافية والسلامة ثم قال جل وعلا - 00:26:14

اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن ما قيلوا بعد ان ذكر حال الكفار وما لهم من العذاب وما مصير اعمالهم اردف وتنى بذكر حال  
اصحاب الجنة وهم المؤمنون فقال اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا - 00:26:35

واحسن ما قيلوا. قال ابن كثير اي يوم القيمة لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون وذلك لان اهل الجنة  
يصيرون الى الدرجات العالىات والغرفات الامنات فهم في مقام امين حسن المنظر طيب المقام - 00:26:59

خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما واهل النار يصيرون الى الدركات السافلات والحسرات المتابعات وانواع العذاب والعقوبات انها سعت مستقرا ومقاما اي بئس المنزل منظرا وبئس المقيل مقاما ولهذا قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا. اي بما عملوه من الاعمال المتنبلة - 00:27:21

نالوا ما نالوا وصاروا الى ما صاروا اليه بخلاف اهل النار فانهم فانه ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة نجاة من النار فنبه تعالى بحال السعداء على حال الاشقياء - 00:27:49

وانه لا خير عندهم بالكلية فقال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا قال الظحاك عن ابن عباس انما هي ظحوة فيقيل اولياء الله فيقيل اولياء الله على الاسرة مع الحور العين - 00:28:08

ويقيل اعداء الله مع الشياطين مع مقرنین نعم يعني قارن بينهما لأن القيلولة هي وقت الاستراحة نصف النهار قال سعيد بن جبير يفرغ الله من الحساب نصف النهار فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار - 00:28:28

قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسنوا مقيلا وقال عكرمة اني لاعرف الساعة التي يدخل فيها اهل الجنة واهل النار هي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الاكبر - 00:28:55

اذا انقلب الناس الى اهليهم للقيلولة فينصرف اهل النار الى النار واما اهل الجنة فينطلق بهم الى الجنة فكانت قيلولتهم في الجنة واطعم كبد حوت فاشبعهم ذلك كلهم وذلك قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا - 00:29:11

وقال سفيان بن عن ميسرة عن المنهال عن ابي عبيدة او عن ابي عبيدة سلماني عن عبد الله ابن مسعود انه قال لا ينتصف النهار حتى يقلوا هؤلاء وهؤلاء - 00:29:33

ثم قرأ اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسنوا مقيلا وقرأ ثمان ان مرجعهم لالجحيم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقر واحسن ما قيلا قال - 00:29:50

قالوا في الغرف من الجنة وكان حسابهم ان عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى فاما من اوتني كتابه بيمنه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله مسرورا - 00:30:07

وقال قتادة في قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن ما قيلا قال مأوى ومنزل ثم اورد بعض اللاثار ولعلم المسلم ان الله جل وعلا يخفف ذلك اليوم الذي مقداره خمسين الف سنة - 00:30:25

يخففه الله جل وعلا على عباده المؤمنين يدل لذلك ما رواه ابو يعلى وابن حبان في صحيحه وصححه الالباني في صحيح الترغيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال - 00:30:47

يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون ذلك على المؤمنين كتدلي الشمس الى الغروب الى ان تغرب يكون فقط هذا الذي على الكافرين خمسين الف سنة - 00:31:02

يكون على المؤمنين مثل ما مثل الوقت الذي اخر النهار لما تتدلى الشمس الغروب يعني تتضييف للغروب تميل للغروب ما بقي شيء على مغيب الشمس وقت يسير وجاء في بعض الاحاديث - 00:31:23

انها تكون كما بين العصر الى مغيب الشمس لكن الحديث فيه ضعف في درجة بالسمح لكن يغفي عنه هذا الحديث الصحيح نسأل الله عز وجل ان ينجينا واياكم من النار - 00:31:39

وان يهون علينا يوم الحساب وان يجعلنا واياكم من اصحاب اليمين وان يهون علينا ذلك اليوم العسير بجوده وكرمه ورحمته انه ولد ذلك وال قادر عليه وصلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:31:55